الدكتورة ثريا دار *

أصحاب المعلقات ، دراسة و تحليل

١- امرؤ القيس

هو على رأس شعراء الجاهلية فى الذكر والشهرة ، وعلى رأس أصحاب المعلقات السبع. كان امرؤ القيس بن حجر بن عمرو من قبيلة كندة ولهذا يقال له الكندى والكندة هى قبيلة يمنية كانت تنزل فىغربى حضرموت .

وتتردد فى كتب الأدب أسماء مختلفة لامرئ القيس ، فيسمى حندجا وعديا ومليكة ويكنى بأبى وهب وأبى زيد و أبى الحارث ويلقب بذى القروح والملك الضليل وأشهر ألقابه امرؤ القيس والقيس من أصنامهم فى الجاهلية كانوا يعبدونه و ينتسبون إليه .

كان حندج المعروف بلقبه: امرؤ القيس، أصغر أبناء حجر بن الحارث ، الملك على بنى أسد ـ فنشأ امرؤ القيس فى بيت سؤدد و مجد و نعمة و ذاق أفاويق الجمال والحب وقضى أيام شبابه فى مغازلة الغيد الحسان ، فكانت له معهن أيام و ذكريات قص الكثير منها فى معلقته ، وما برح في لهوه و مجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه ـ فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو ، حتى قتل أبوه فذهبت سكرته ، وطالت حسرته ، وهب للأخذ بثأره ، حتى قضى عليه أخيراً إسرافه فى الانتقام.

وامرؤ القيس أقدم الشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم تامة وهو شاعر وجدانى قدمه النقاد على معاصريه من شعراء الجاهلية

---

* رئيسة القسم العربى ، الجامعة الإسلامية ، بهاولبور.

وعلى الشعراء الذين جاءوا بعده. وللمعلقة مطلعها الساحر القوى ، وأسلوبها الجزل ، وخيالها البدوى الموهوب وتشبيهاتها الحية الساذجة المكرورة أحيانا ، وفيها فوق ذلك و رغم الكثير من ألفاظها البدوية الجافة رقة النسيب ودقة الوصف و تنوع الأغراض و براعة التصوير والبيان ، و فيها جل ما ابتكره امرؤ القيس من المعانى الشعرية التى فضل بها على غيره من الشعراء وعد بها أميرهم و قائدهم ، ففيها بكاء للديار ، واستيقاف للصحب و تجويد فى النسيب ، و تصوير لاستهتاره و مجونه و قصص لذكرياته وأيامه ، وإبداع فى وصف الليل و طوله ، والفرس و محاسنه ، والبرق والمطر وآثاره .

والنقاد يحتجون لذلك بأنه أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار و شبب بالنساء وشبههن بالمها والظباء والخيل بالعقبان و أجاد فى وصف الليل والخيل والصيد . ثم هو واسع الخيال لتقلبه فى النعيم والخيل لادمان ركوبه وكثرة أسفاره فى البادية والحضر وقد قال العلماء بالشعر:

إن امرءالقيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لانه قيل هو أول من لطف المعانى واستوقف على الطلول و وصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام ، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه" (١)

وقد أيد أبو عبيدة معمر بن المثنى من فضله ، بأنه أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى فى الدمن ، ووصف ما فيها ، ثم قال : وهوأول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والظباء والطير . فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الا وصاف (٢)

وقد قال أبو عبيدة " هو اول من قيد الأوابد ، يعنى فى قوله فى وصف الفرس (قيدالأوابد) فتبعه الناس على ذلك (٣)

وقد لخص الباقلانى شعره بقوله: "وانت لا تشك فى جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب فى براعته ولا تتوقف فى فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع فى طرق الشعر - أموراً أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى مايصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والمليح الذى تجد فى شعره والتصرف الكثير الذى تصادفه فى قوله ، والوجوه التى ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعفو و متانة ورقة أسباب تحمد و أمور تؤثر وتمدح وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون بشعره فلانا وفلانا " (٤)

وتتناول معلقة امرئ القيس كثيراً من فنون الشعر ، وتحوى الكثير من الأفكار المتنوعة ففيها بكاء لديار أحبابه فى ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عب الحزن والألم فى بيتين وفيها شرح للهوه وعبثه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربى وزينة المرأة فى الجاهلية ولأثر الجمال وسحره فى النفوس وذلك فى عشرين بيتا، وفيها مناجاة الليل وذكر لطوله وآلامه فيه فى خمسة أبيات ، ووصف دقيق لفرسة فى ثمانية عشر بيتا والبرق والمطر ونشوة الطبيعة فى عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أوتزيد وهى كلها فى درجة من الإحسان ليس بعدها من مزيد. ويقول الزوزنى فى سبب إنشاد هذه القصيدة:

"السبب فى إنشادها هو قصة غدير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة ، فتركها تستحم فى هذا الغدير مع أتراب لها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها إلابعد مرورهن أمامه عاريات ، ثم ذبح لهن ناقته وقسم متاعه عليهن يحملنه وركب مع عنيرة فى هودجها"(٥)

وبدأ امرؤالقيس معلقته ليذكر يوم دارة جلجل فمن ذلك قوله (مطلعها) فىقصيدته اللامية :

"قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل" (٦)

هو مطلع جميل ساحر ، يدل على شخصية صاحبها المرحة وروحه الموهوب ومجونه المأثور . ثم يستمر فى وصف الديار وآثارها حتى يقول :

وإن شفائى عبرة إن سفحتها
وهل عندرسم دارس من معول " (٧)

ثم يصف ذكريات لهوه وعبثه وتنتهى القصة بذكر الشعر الذى قاله فى هذه المناسبة حيث يقول :

فقلت لها سيرى وأرخى زمامه ولا تبعدينا من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم مغيل(٨)

ثم يستمر فى غزله ويصف الليل ، وبعد ذلك يصف فرسه ثم يذكر الصيد الذى صاده وطهى الطهاة له وسط الصحراء فيقول:

فظل طهاة اللحم مابين منضج صفيف شواء أوقدير معجل(٩)

وتمتاز المعلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية وبما فيها من أساليب البيان ومناهج الأداء ، وصور التعبير ، وألوان الرسم والخيال والتفكير ، وفيها تشبيهات جميلة كثيرة ، واستعارات بالغة حدّ الجمال وكنايات أنيقة ساحرة ، وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان.

وأن امرء القيس هو أشهر شعراء الجاهلية و أشرفهم أصلا و أرفعهم منزلة ، ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس ابن عبدالمطلب ، حين سأله عن الشعراء: "امرؤ القيس سابقهم حسف لهم عين الشعر ، فافتقرعن معان عورٍ أصحّ بصر" (١٠).

وقيل لكثير ـ أو لنصّيب ـ " من أشعر العرب ؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب(١١).

ونجد للباقلانى صاحب كتاب " إعجاز القرآن" آراء فى بعض أشعار امرئ القيس حيث ينتقد بعض الأبيات ويبين ما فيها من عيوب كما نجد فى كتب النقد آراء فى شعره وهى بين مستحسن و مستهجن لبعض الأبيات أو القصائد كما قال بروكلمن:" ومن الخصائص العروضية فى شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض فى الطويل ، وكثرة الاقواء فى القافية و كثرة التصريع فى غير أول قصيدة (١٢).

وقصة موته مشهور ويقال ان ابنة القيصر نظرت إليه فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه وتآمر الطماح بن قيس الأسدى لهما ، وكان حجر قتل أباه فوشى به الى الملك ، فخرج امرؤ القيس متسرعاً فبعث إليه قيصر بحلة مسمومة ، فتناثرلحمه و تفطر جسده و لهذا يقال له ذوالقروح لانّ الحلة المسمومة قرحته ـ فمات ودفن بأنقره.

زهير بن أبى سلمى:

هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى ، فأبوه من قبيلة مزينة احدى قبائل مضر ـ كان يقيم هو و أبوه و ولده فى منازل بنى عبدا لله بن غطفان بالحاجز من نجد و أول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى فهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيرا و تزوج امرأة من سحيم بن مرة ولذلك كان زهير يذكر فى شعره بنى مرة و غطفان يمدحها.

كان زهير أحد ثلاثة الفحول المقدمين على سائر شعراء الجاهلية ـ فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس و زهير والنابغة وإنما اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى ـ فقد امتاز زهير بما فى نظمه من الحكمة البالغة و كثرة الامثال مع القدرة على المدح ، والنقاد مجمعون على نقل رأى عمر بن الخطاب فى زهير "

كان لا يعاظل بين الكلام (لايدخل بعض الكلام فى بعض) وكان يتجنب وحشى الكلام و لم يمدح أحداً إلا بمافيه (١٣).

وكثيرون يفضلونه على صاحبيه كما قال ابن رشيق : قال أهل النظر "كان زهير أحكمهم شعراً و أبعدهم من سخف و أجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ وأشدهم مبالغة فى المدح" (١٤).

ويقال إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير ـ قال صاحب " الوسيط " كان زهير بن أبى سلمى ثالث فحول الطبقة الاولى من الجاهلية ، وأعفهم قولاً ، وأجزلهم لفظاً و أغزرهم حكمة وأكثرهم تهذيباً لشعره(١٥).

وكان لشعره تاثيراً كبيراً فى نفوس العرب وكان مقربا من أمراء ذبيان و خصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف وأول قصيدة نظمها فى مدحهما معلقته المشهورة التى مطلعها :

أمن امّ أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم (١٦).

بدأ زهير معلقته بذكر الديار وزيارته لها و وقوفه فيها بعد عشرين عاما طوالا يتذكر ذكريات حبه و وفائه ثم أخذ يصف النساء اللاتى ارتحلن عنها فيتبعهن ببصره كئيباً حزيناً و يصف الطريق التى سلكنها والحوادج التى كن فيها والمياه التى نزلنها فى ذوبة و سهولة وجمال إلى أن يقول:

تذكرنى الأحلام ليلى ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم (١٧)

ثم ينتقل إلى مدح هرم والحارث والإشادة بجهودهما الكريمة فى إنفاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس و ذبيان و يختم القصيدة بتأكيد معروف السيدين الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن يكثر التسأل يوما سيحرم (١٨)

وإنّ معلقة زهير من آثار البلاغة العربية القديمة ، تقع فى تسعة و خمسين بيتاً . وقد روى أن سيدنا عمر رض قال لبعض ولد هرم "

أنشد نى بعض ما قال فيكم زهير فأنشده فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن فقال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، فقال عمر رضـ ذهب ما اعطيتموه و بقى ما اعطاكم(١٩).

وكانت لزهير بنت كانت شاعرة فدخلت على عائشة رضـى الله عنه ، وعندها بنت هرم بن سنان ، فسألت بنت هرم : من أنت ؟ قالت أنا بنت زهير ، قالت: أو ما أعطى أبى أباك ما أغناكم؟ قالت : ان أباك أعطى أبى ما فنى ، وإن أبى أعطى أبـاك مـا بقـى ، وأنشـدت بنت زهير.

وأنـك إن أعـطيتـنى ثـمن الغنـى
حمدت الذى أعطيت من ثمن الشكر
وان يفن مـا تعطيـه فى اليـوم أو الغد
فان الذى أعطيك يبقى على الدهر(٢٠)

وكان شاعرا فحلا ، كمـا كـان صـائب الـراى عـاقلا حازمـا حكيما وكان زهير سيداً كثير المال حليما معروفا بالورع متدينا مؤمنا بالبعث والحساب كما يظهر من قوله:

يـؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو ليعجل فينقم(٢١)

وكان زهير استاذ الحطيئة و سئل عنه الحطيئة فقـال " مـارأيت مثله فى تكفيه على أكتاف القوافى و أخـذه بأعنتهـا حيـث شـاء مـن اختلاف معانيها امتداحاً و ذماً ـ قيل له : ثم من : قال: مـا أدرى إلا أن ترانى منبطحاً واضعاً إحـدى رجلـى علـى الأخـرى رافعـاً عقـيرتى أعوى فى أثر القوافى (٢٢).

وكان زهير عمر طويلا إذ يقال فى بعـض الروايـات أنـه ادرك الإسلام وله مائة سنة و لم يسلم ولكن إدراكه الإسـلام غـير صحيـح ، إنما الصحيح أنه مات قبل الإسلام بأحدى عشرة سنة.

النابغة الذبيانى:-

هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى ، أبـو أمامـة و قيـل أبـو ثمامة وأبو عقرب أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم - عده بعض العلمـاء مـن الطبقـة الاولى بعـد امـرئ القيـس وقيـل زهـير والأعشى ولقب بالنابغة لنبوغـه فـى الشـعر فجـأة وهوكبـير ، بعـد أن امتنع عليه وهو صغير وقد ذكر أهل الرواية أنه إنما لقب النابغة بقولـه: فقد نبغت لنا منهم شوؤن.

وكان النابغة شاعر بلاط ، يتردد إلى قصور الملوك فى العراق و الشام ومدحهم وأخذ جوائزهم وقد أخذ عليه علمـاء الشـعر لتكسـبه بشعره ، واتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطـالت صحبتـه للنعمـان بـن منذر فأدناه منه و اتخذه جليساً و نديماً - ثـم اتفـق أن النعمـان غضـب عليه وهّم بقتله - وقيل ان النابغة نظم قصيدته الشهيرة فى زوجة ابـى قأبوس يوماً و ذكر فى وصفه لها مالا يليق ذكره كما قال يصفها:

فى اثر غانية رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير أن لم تقصد (٢٣)

ونظم النابغة معلقته بعد أن فارق النعمان بـن المنـذر إلى بـلاط الغساسنة و هذه القصيدة هى أشهر اعتذاريات النابغة و يمدح النعمان و يعتذر اليه عما رماه به المنخل اليشكرى و انباه قريع و يـبرئ نفسـه من وشايتهم وهى التى تغلبت علـى سـخط النعمـان وقـد عـدت مـن المعلقات و مطلعها:

يـا دارمية بـالعلياء فـالسند أقوت، وطال عليها سالف الأبـد(٢٤)

اشتهر النابغة بالمديح والاعتذار وكذلك أذل نفسه فى اعتذاره للنعمان ومن اعتذارياته:

فـانك كالليل الـذى هـو مـدركى
وإن خلت أن المنتائ عنك واسع(٢٥)

وخلق النابغة فى الشعر العربى فنا جديدا فقال فى قصيدة أخرى يمدح بها النعمان"

فانك شمس والملوك كواكب إذ طلعت لم يبد منهن كوكب (٢٦)

والنابغة مثل غيره من أهل زمانه ، كان يعتقد بالجن ، فأشار فى شعره الى جنة البقار وهو ممن ذكر بعض القصص والأساطير فى شعره. فقد ذكر النعمان بن المنذر بقصة زرقاء اليمامة ، وهى قصة يظهر أنها كانت شهيرة وشائقة بين الجاهليين ، ضربها مثلاً له ، وذكر قصة الحية وهى اسطورة فى ذم الغدر والخيانة (٢٧).

عمرو بن كلثوم :-

هو أبوالأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبى شاعر قديم من كبار شعراء الجاهلية ـ امه ليلى بنت المهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعزالعرب ، ووالده كلثوم بن عتاب ، فارس العرب ، نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة التراتية بين ذوى الحسب اللباب من تغلب شجاعا هماماً خطيباً جامعاً لخصال الشرف : وكان عمرو سيد فى قومه وقائد قبيلته من بنى تغلب ساد عمرو بن كلثوم قومه وهو ابن خمس عشرة ومات فى أواخر القرن السادس للميلاد ـ

وكان خطيبا حكيماً شاعراً وقاد الجيوش مظفراً فى كثير من الحروب وافتخر بنفسه وقومه وانشأ معلقته الرائعة المشهورة التى أولها:

"ألاهبى بصحنك فاصبحينا ولاتبقى خمور الأندرينا"(٢٨)

و قد قيل لو وضعت أشعار العرب فى كفة و قصيدة عمرو بن كلثوم فى كفة لمالت بأكثرها كما قال مطرف عن عيسى بن عمر" لِلّهِ در ابن كلثوم ! أى حلس شعر ، و وعاء علم ! لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه ، لكان أجود سبعهم قصيدة"(٢٩).

ولمعلقته قيمة تاريخية ، فهى تدلنا على حالة العرب من حيث الدين والاجتماع والعادات والصناعات والألعاب . فتخبرنا عن طواف

النساء حول الصنم و عن الرقص الدينى ، ومرافقة النساء للرجال فى القتال ، و عن لعب الصبيان بسيوف الخشب و قذف الكرة وغير ذلك من الفوائد التاريخية.

و يذكر بعض الرواة أن عمرو بن كلثوم ارتجل قصيدته الشهيرة ارتجالاً ، وأنها كانت تبلغ ألف بيت أو تزيد وأن ما وصل إلينا منها هو ١٠١ فى كتاب شرح القصائد العشر للتبريزى و ١٠٣ فى شرح المعلقات للزوزنى و ١١٥ فى جمهرة أشعار العرب لابى زيد قرشى و يظهر من دراستها أنها لم تنظم دفعة واحدة ، وانها لم تكن بهذا الطول يوم ألقاها الشاعر ، بل زيدت فيما بعد حسب المناسبات لأن فيها أبياتا تمس أموراً وقعت فيما بعد ، فى ظروف متأخرة. وكان عمرو بن كلثوم خطيباً حكيماً شاعرا ، أوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة ، ضبط نصها الرواة فيما بعد وكلهم كتبوها بخط يدهم وهذه الوصية موجودة ايضاً فى الآغانى.(٣٠)

عنتره بن شداد:-

هو أبو المغلس عنترة بن عمرو بن شداد العبسى أحد فرسان العرب وأبطالهم و شعرائهم و كان عبداً أسود. و يختلف الرواة والمؤرخون و يقولون: كان شدّاد عمّه . وقد روى له فى ديوانه ، بيت شعر يذكر فيه أباه شداداً وهو:

منهم أبى شداد أكرم والد والأم من حام ، هم أخوالى (٣١)

وعنترة عربى من جهة الأب ، فهو من بنى عبس و أمّا أمه فكانت أمة حبشية الاصل ، و اسمها زبيبة ، سباها أبوه فى الغارات ، فاستولدها عنترة ، فأتى حبشى اللون ، مشقوق الشفة السفلى ، فكان يقال له " عنترة الفلحاء " كما قال شريح بن بجير التغلبى:

وعنترة الفلحاء جاء مُلاّما كانك ضد السائر فى الظلام (٣٢)

وكان يكنى عنترة " بأبي المغلس" و معناه: السائر فى الظلام، إشارة إلى سواد لونه وعُدّ أيضاً من أغربة العرب.

نشأ عنترة عبداً يرعى الابل لأبيه وهو لا يكاد يؤبُه له ولكنه نزع بنفسه عن حال العبودية وأخذ يروض نفسه على الطراد والفروسية وقائد كتيبة . وكان عنترة محتقرا فى عين والده و أعمامه ولكنه نشأ شديداً بطاشاً شجاعاً ، كريم النفس كثير الوفاء و أحب عنترة منذ صغره عبلة ابنة عمه مالك ، ثم طمع أن يبنى بها ولكنّ عمه كان كثير التعنت فلم يرض أن يزوج ابنته بعبد أسود.

وكانت لعنترة أيام مشهورات فى حرب داحس والغبراء . وقاد عنترة كتائب عبس فى حرب داحس و الغبراء ــ فأحسن القياد وأصبح فارس دأحس والغبراء كما كان فارس عبس وأحد أغربة العرب المشهورين و حارب ايضاً الفرس فى يوم ذى وقار (عام البعثة ٦١٠م) (٣٣) .

" قال له رجل " أنا اشعر منك . قال " ستعلم ذلك " فغاب حيناً ، وجاش الشعر فى صدره و جرى على لسانه و عاد إليه" (٣٤). فأنشده معلقته وهى إحدى المعلقات السبع ومن روائع الشعر العربى القديم ومطلعها :

"هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم"(٣٥)

وأشتهر عنترة بفنين من فنون الشعر وهما الغزل والحماسة ونظم عنترة معلقته فى أعقاب حرب داحس والغبراء ليعاتب عبلة و يفتخر أمامها بشجاعته و كرمه و ليعاتب أباه و عمه الذين ضَنًا بعبلة زوجاً له وقد قال عنترة يخاطب عبلة.

أثنى على بما علمتِ فاننى سمح مخالقتى إذا لم اظلم (٣٦)

و إن عنترة رقيق فى غزله والإشادة ببطولته ، بل هو رقيق فى حديثه عن أعدائه ، أليس هو الذى يقول.

"فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم"(٣٧)

بل هو رقيق على فرسه ، يألم لألمه ، ويشقى لشقائه ، ويرى بكاءه ويسمع توجعه حين تعبث به رماح الاعداء :

فازورمن وقع القنابلبانه وشكا إلىّ بعبرة وتحمحم(٣٨)

فعنترة فى معلقته شاعر يتحدث عن البطولة فى البادية وعن المجتمع الذى كان يعيش فيه و عن الحياة التى كان يتأثر بها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقرى ويعد كل ما فى المعلقة جيد ، وكل أبياتها خليق أن نطيل الوقوف عنده والتفكير فيه والإعجاب به لان قد بدأها عنترة بالغزل فى ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات ـ وبعد ذلك استطرد إلى وصف الروضة ، ثم وصف ناقته فى أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالغرابة ثم نراه يفتخر بنفسه وشجاعته و يستمر فى التنويه بشجاعته. ثم يختمها بتهديد ابنى ضمضم و كانا قد نذرا دمه و تربصا له لأنه قتل أباهما فى الحرب.

طرفة بن العبد:

هو عمرو بن العبد البكرى ، شاعر جاهلى مشهور ، نشأ يتيما فى كفالة أعمامه . مات أبوه وهو صغير .

وكان قومه ينزلون البحرين فولد هناك و هناك قتل شاباً لم يبلغ السادس العشرين من عمره و "طرفة" لقب غلب عليه ، قد قيل إنه من الطرفاء وهو شجر الاثل ، وقيل لقب به لبنت قاله وهو .

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا

ولا اميريكما بالدار اذوقفا (٣٩)

قال طرفة الشعر وهو صبى . فنبغ فيه حتى عدّ من فحول الشعراء الجاهليين و لم ينيف على العشرين واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة فى الطبقة الثانية و ابن سلام فى الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين.

و كان طرفة منذ الحداثة متوقد الذهن ، مضطرم الشعور ، حاد البادرة و لكنه كعمرو بن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقته و هى أطول المعلقات السبع. و أبياتها خمسة و مائة بيت . لم يسبقه إليه أحد و تعدّ معلقته من أجود المعلقات وتمتاز بكثرة معانيها و جزالة أسلوبها . نظمها طرفة بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله فى الأحياء حين كان مغاضبا لقومه و عشيرته و يقال فى سبب نظمها أن أخاه معبد كانت له ابل ضلت فذهب اخوه طرفة إلى ابن عمه مالك ليعينه فى طلبها . فلامه و انتهره وقال " فرطت فيها ثم أقبلت تتعب فى طلبها" فهاجت قريحة طرفة ، فقال معلقته الرائعة التى مطلعها.

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد(٤٠)

ثم يذكر قباب خولة وهى ظاعنة ويشبهها بالسفينة تشبيهاً جميلا وقوياً و فى هذا الوصف هو يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التى كان يراها ويشاهدها تسير فى الماء على شواطى البحرين و سواهما . ثم يصف جمال محبوبته و ينعتها نعتا جميلا قويا مؤثرا عذبا يدل على امتلاء نفسه بالحب و على خضوعه لأسر الجمال.

ثم يأخذ الشاعر فى وصف ناقته التى يسير عليها يسلي عن نفسه الهموم والأحزان. ووصفه لها طويل فى خمسة و ثلاثين بيتا. ثم يفتخر الشاعر بنفسه و يفرغ لها ويصف كرمه ولذاته و مجده و لهوه يشرب الراح فى وضوح وسهولة و يقول:

إذ القوم قالوا : من فتى؟ خلت أنّنى
عنيت ، فلم أكسل و لم أتبلد (٤١)

ثم يعلن فى صراحة أثر لهوه و شربه الخمر فى حياته و بين قبيلته ، ويتحدث عن لذاته فى الحياة و يصفها ويقول أن غايته من الدنيا إنما هى الخمر و الحب والنجدة ، ولولا هذه اللذات الثلاث ما رغب الحياة ولا رهب الموت و يلوم من يعذله فى اللهو والإسراف ويفند

رأيهم و يقول . إن الكريم المسرف والبخيل المقتر مآلهما واحد الى القبر ويعتد بلذاته اعتداداً كبيراً

ثم يمضى الشاعر بعد ذلك زاريا على ابن عمه شاكيا من ظلم قومه ، مفتخرا بحسن بلائه و قوة عزمه .

ويقول معرّضاً بابن عمه :

فمالى أرانى و ابن عمى مالكاً
متى ادن منه ينأ عنى و يبعد
يلوم وما ادرى علام يلومنى
كما لا منى فى الحى قرط بن معبد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على امرء من وقع الحسام المهند (٤٢)

ثم ينقل إلى الحكمة ، فيأتى منها بحكم رائعة وأمثال بليغة رويت على مر الزمان و تمتاز المعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وجمعها بين السهولة والغرابة فى اللفظ و بين الرقة والمتانة فى الأسلوب و بين الحكمة واللهو والجد والهزل فى النهج والحياة.

لبيد بن ربيعة العامرى

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى من هوازن قيس ، وكان أحد أشراف الشعراء المجيدين ، والقواد الفرسان المعمرين ، والأجواد العريقين ، والحكماء المحنكين .

و هو من أصحاب المعلقات باجماع الرواة . وكان لبيد فى الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم و يعد ايامهم و وقائعهم و فرسانهم و شعره فخم شريف المعانى و يدور أكثره على الحماسة والفخر والمديح والرثاء والوصف وله معلقة بروية الخصائص وشعره قصيد و رجز.(٤٣)

و أمه عبسية ، ونشأ لبيد فى نعمة من العيش فقد كان أبوه من الاغنياء الكرماء حتى اكتسب لقب " ربيعة المقترين "وكان جوادا شجاعا فاتكا . أما الجود فورثه عن أبيه. إذ كان عمه ملاعب الأرنة و أحد فرسان مضر فى الجاهلية فاخذ لبيد الجرأة من عمّه.

وكان نظم لبيد فى الجاهلية فخم العبارة ، منضد اللفظ ، قليل الحشو، مزدانا بالحكمة العالية والكلم الرائعات ، وهو أحسن الجاهليين تصرفا فى الرثاء ، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين ، بلفظ رائق وأسلوب مؤثر ولهذا يحتل لبيد منزلة رفيعة فى نظر قدماء الادباء وقدمه بعض النقاد " لانه أفضل الشعراء فى الجاهلية والإسلام وأقلهم لغواً فى شعره" (٤٤)

وأدرك الإسلام وأسلم ـ وقد انقسم الرواة والنقاد فى شأن لبيد، منهم من يزعم أن لبيداً لم يقل بعد الإسلام إلابيتاً واحداً ومنهم من يقول إن شعر لبيد فى الإسلام كان كثيراً ـ و أجمعت المصادر على أن لبيداً لم يقل فى الإسلام إلا:

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى البست من الإسلام سربالا(٤٥)

وهذا قليل من كثير من احكام القدماء على لبيد وفى ديوانه قصائد قالها قبيل وفاته وكذلك فى ديوانه مقطعات عديدة فى الدينيات والاخلاق و من المرجح انه لم ينظمها قبل أن يعرف القرآن ـ

و إن معلقة لبيد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب ، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق و كذلك تصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة ـ وقد بدأها لبيد بوصف المقفرة والأطلال البالية وذكرى الحبيبة وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبث بها وتمحو معالمها ، وقد قال فى مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها(٤٦)

ثم يصف رحيل أحبابه عنها وأخيراً لا يرى أن يتسلى ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله ولكن أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها ما دامت نوار قد تغير وصلها ـ

" فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلقه صرامها"(٤٧)

ثم يأخذ فى وصف ناقته فى لفظ غريب وتعبير بدوى متين ويطيل فى هذا الوصف ، ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الروؤم المفجوعة ـ ثم يتحدث عن نفسه وعزتها ، ولذات الراح التى شارك فيها ، وشجاعته وبطولته فى مواقف النزال والنضال وكرمه وسخائه ونواله للجار الفقير والضعيف النازل والجار الغريب وللبائسين والمساكين ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه ومآثرهم وشرفهم ومجدهم وكرمهم وأمانتهم وكل ذلك فى صدق واخلاص وقصد ـ

كان لبيد مثالاً فى الجود ، وافر اللب ، نبيل النفس ، جم المروءة ، وسيع القلب ـ فسالت أخلاقه وعواطفه فى شعره وتمثلت معانى النبل والكرم فى فخره ـ

وجاء نظمه فخم العبارة ، وجزالة اللفظ ودقة معانية وشرف مقاصده وقلة اللغو فى قوله ، و قليل الحشو ، و مزدانا بالحكمة العالية الصادقة والموعظة الحسنة والكلم النوابغ وكثرة اشتماله على عقائد الايمان وهو ممن يجيد الرثا من الجاهليين ويأتى فيه بأبدع الحكم والأمثال التى تذهب الاحزان وتسلى الهموم ، وتهون على النفس ألم المصيبة بلفظ رائق وأسلوب مؤثر ـ

وبعد اسلامه انتقل لبيد إلى الكوفة وأقام فيها إلى أن توفى فى عام ٤١هـ .

❀❀❀❀❀❀

الحواشي و المراجع

١- العمده لابن رشيق: ١/٩٤- الطبعة الثالثة - صفر ١٣٨٣ هـ.
٢- كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة - ١/٦٣.
٣- نفس المصدر، ١/٦٧.
٤- إعجاز القرآن للباقلانى: ص ، ١٥٨ - تحقيق السيد احمد صقر- دارالمعارف بمصر .
٥- شرح السبع المعلقات للزوزنى "ص : ٥ ، ٦ ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور.
٦- الشعر والشعراء لابن قتيبه : ١/٥٠.
٧- ديوان امرؤ القيس: ص : ٩ (تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم) الطبعة الخامسة - دارالمعارف مصر -
٨- نفس المصدر : ١١،١٢.
٩- نفس المصدر : ٢٢.
١٠- الشعر والشعراء : ١/٦٣.
١١- العمدة لابن رشيق : ١/٩٥.
١٢- تاريخ الادب العربى لبروكلمان ١/٩٩.
١٣- الشعر والشعراء : ١/٦٩ و المزهر للسيوطى : ٢/٤٨٢ . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (بدون تاريخ)
١٤- العمدة لابن رشيق: ١/٨٥
١٥- الوسيط فى الادب العربى وتاريخه للشيخ أحمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى: ص، ٦٩ الطبعة السادسة عشرة - دار المعارف بمصر - ١٩١٦ م -
١٦- شرح المعلقات السبع للزوزنى - ص ، ٧٣

١٧- شرح شعر زهير بن ابى سلمى لابى العباس ثعلب: ص ، ١٦ (تحقيق الدكتور فخر الدين قباده) منشورات دار الآفاق الجديد بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.
١٨- جمهرة اشعار العرب لابى زيد القرشى . ص: ١٨٧ ـ الطبعة الاولى ، دارنهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ـ
١٩- الشعر والشعراء : ٧٣/١
٢٠- شرح شواهد المغنى: ٧٥٥/٢
٢١- شرح المعلقات السبع للزوزنى- ص،٨١
٢٢- الشعر والشعراء ص ٧٣/١
٢٣- اشعار الشعراء الستة الجاهليين لشنتمرى .٢٢٨/١، ٢٢٩، منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت (الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م)
٢٤- ديوان النابغة الذبيانى: ص:٣٠- تحقيق و شرح لكرم البستانى دار صادر بيروت. ١٣٧٩- ١٩٦٠م.
٢٥- نفس المصدر:ص:٨١
٢٦- نفس المصدر :ص:١٨
٢٧- الشعر والشعراء :٨٦/١
٢٨- شرح السبع المعلقات للزوزنى:ص،١١٨
٢٩- جمهرة اشعار العرب:ص،٩١
٣٠- الآغانى للأصفهانى:٥٣/١١،٥٤
٣١- شرح ديوان عنترة بن شداد لأديب المصرى:ص،١٩٤
٣٢- المفضليات لمفضل الضبى:ص،٢٨٧ ـ طبعة جميز لائل بريس:١٩٢١م.
٣٣- تاريخ الادب العربى للدكتور عمر فروخ :٢٠٨/١ ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ـ١٩٦٩م.
٣٤- تاريخ الادب العربى لاحمد حسن زيات:ص،٥٩

٣٥- ديوان عنترة لكرم البستانى:ص:١٥- دار صادر بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
٣٦- نفس المصدر، ص:٢٣
٣٧- نفس المصدر، ص:٢٦
٣٨- نفس المصدر، ص:٣٥
٣٩- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على:٥٣٦/٩- دار العلم للملايين . بيروت. مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الثالثة - ١٩٨٠م.
٤٠- ديوان طرفة : ص :١٩
٤١- نفس المصدر، ص،٢٩
٤٢- نفس المصدر: ص،٣٤،٣٥
٤٣- البيان والتبيين للجاحظ ، ١٤٦/٤ - إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان.
٤٤- جمهرة اشعار العرب:ص،١١٤
٤٥- الشعر والشعراء:١٩٠/١
٤٦- جمهرة اشعار العرب:ص:٢٨٨،٢٩٢،٢٩٤.
٤٧- شرح المعلقات للزوزنى :ص،٩٨-